ارصفة تبتلع الشوارع

اصحاب (البسطات): سنغسل الارصفة بأيدينا ان وجدنا فرصا أفضل للعمل

سعيد عبد الهادي

بعد ان استقرت (البسطات) واصبحت ظاهرة مألوفة في الشارع العراقي، وولدت (بسطات) تجارتها تفوق تجارة الكثير من اصحاب المحال والدكاكين، ومرت عليها سنوات عدة من سنواتنا العجاف، اصبح هناك الرصيف المختص، فاذا دخلت إلى سوق (مريدي)، وهو الاشهر بارصفته، رأيت الرصيف موزعاً بحسب البضاعة، بين باعة الأواني، باعة الدرجات، باعة الكهربائيات والثلاجات، باعة الاثاث، باعة الأدوات الاحتياطية، في هذا السوق تجد كل شيء من المستعمل وحتى الجديد، هناك التقينا البائع اسماعيل، الذي افترش الارض بمجموعة من الاحذية المستعملة وسألناه عن مهنته وعن السوق نفسه فاجاب: هذا السوق قديم ولكنه كان سوقا للخضار.

ارصفة مختصة

مع التسعينيات والبطالة التي عشناها توسع بهذا الشكل الذي تراه، وتحول إلى سوق متنوع او أسواق متداخلة، ثم اصبح معلماً من معالم التسعينيات، بسبب انتشار ظاهرة التزوير وارتباطها به، معظم الباعة هنا يعتمدون على ما يجمعه (العتاكة) من الاحياء الراقية، ويعيدون تجديدها، ثم عرضها على الارصفة. اما عن نفسه فقال: انا من مواليد ١٩٦٣ خريج معهد ادارة، لم يكن الراتب يكفي لمعيشة طفل، حين خرجت من الجيش، لهذا اتخذت من الرصيف مكاناً لكسب الرزق وعزفت عن التعيين في دوائر الدولة. والآن بعد ان اصبح راتب الموظف جيداً لم اجد مكانا في دوائر الدولة، على الرغم من اني قدمت عشرات الوثائق السياسية والاجتماعية التي تؤكد ضرري من النظام السابق وحاجتي للتعيين، ولكن المحسوبيات عادت بأسوأ اشكالها ـ الآن ـ هكذا اجبرت على التمسك بالرصيف، وقبل ان يأمروني بتركه عليهم ان يجدوا حلاً لمشكلتي، وأن يأخذوا عبرة من النظام السابق، الذي حاول نقل سوق (مريدي) إلى نهاية (الجوادر) وسخر شرطته وأمنه وأمانة عاصمته، ولكن السوق بقي وولد سوق رصيف آخر في النهاية التي حددوها، وقال، مختتماً كلامه، آلاف العوائل تعيش من رحمة الرصيف، إن جاءت رحمة أوسع نغسله بأيدينا ونسلمه لأمانة العاصمة.

عالم (البسطات)

كانت مصيدة الكويت بداية الخراب، طريق الموت الذي رصف جثثا عراقية من البصرة حتى الكويت، مئات المقابر الجماعية التي ملأت السهول والوديان، واقتصاد حطمته الحروب والحصار، لم يجد الطاغية حلا إلا بعسكرة المجتمع واتخاذ الإرهاب سبيلاً لحل أزمة البطالة، في حين اتجه المواطن العراقي المعدم للمتاجرة بمقتنيات بيته، فجأة اكتشف ان عالمه أضيق من ان يتحمل مقتنيات السبعينيات، في حينها شاعت طرفة تقول: ان الطاغية زار مدرسة ابتدائية وسأل احد طلبتها عن مهنة أبيه، فأجابه التلميذ: أبي (يبيع ويشتري) ضحك الطاغية وسأله ثانية: ماذا يبيع؟ اجاب التلميذ بعفوية، يبيع اغراض البيت ويشتري (أكلاً) لنا. هكذا بدأت البسطات، اصبح رب البيت يقف على الرصيف حاملاً اغراض بيته منتظرا من يشتريها.

الامانة تبني تسعة اسواق للخلاص من استغلال الارصفة تجارياً

التخلص من دور الوسيط

اعتادت العائلة السبعينية على انشاء مخزن لحفظ ما هو زائد عن الحاجة وحين حلت الأزمة التسعينية تحولت هذه الزوائد من الحاجيات إلى بضائع، تنتظر العائلة منادياً يسير في الشوارع والازقة، يشتري من المنازل ويبيعها في الاسواق الشعبية ولكن معظم الموظفين، تجاوز حلقة الوساطة هذه بنزوله إلى الشارع مباشرة، ولا ادل على ذلك من شارع المتنبي الذي افترشه المثقف العراقي بكتبه، وبعد ان كان يبيع كتبه باستحياء إلى محمد الفلفلي، صاحب مكتبة الزوراء، تجاوز حاجز الخجل ونزل إلى الشارع، وهذا الامر شمل الآخرين، فالفلاح وضع جذعين وسقفهما بالقش على رصيف الشارع الخارجي متجاوزاً العلوة ووساطتها. مات دور الوسيط في بحث العائلة عن وفرة مالية اكبر، ومع موته مات الخجل، وانتهت كبرياء الطبقة الوسطى.. بتحولها إلى باعة على الارصفة الرثة.

حين يتحول الرصيف إلى ظاهرة

رصيف شارع المتنبي، رصيف تحول إلى ظاهرة، هذا التحول اعجز امانة العاصمة ـ قبل عامين ـ عن ازالته، إذ كتب في حينه عدد من الصحفيين والكتاب مطالبين بالمحافظة على هذا الرصيف لأنه اصبح يمثل معلماً ثقافياً. في ظل هذا ـ أي المحافظة على بقاء الرصيف للكتاب، وتحول الشارع إلى (كراج)ـ ربما يجد الرواد راحة اكبر، ولكن اصحاب محال الجملة من باعة القرطاسية، يرون فيه أمراً آخر، عن هذا حدثنا السيد جعفر كريم بالقول: مع التسعينيات تحول الشارع إلى ظاهرة باتجاه وسائل الاعلام العالمية نحوه، لكونه مستقرا للمثقفين العراقيين، وعلى الرغم من ان هذا الشارع كان مصدراً اساسياً للكتاب الممنوع. الا ان الحكومة السابقة حين رأت من الصعوبة اجتثاثه عبر فرق الامانة المعززة بالشرطة بنت مجمعاً للادباء، وفعلا اتجه بعض الباعة إليه، ولكن الاسعار التي فرضها المتعهد هي التي منعت الآخرين من اتخاذه بديلاً عن الشارع، فضلاً عن ان باعة الرصيف يعيشون على كثافة الحركة في الشارع نفسه، وعن العلاقة بين اصحاب المحال والباعة قال: ان الكثير من اصحاب المحال استغلوا الارصفة المقابلة لمحالهم واضافوا (جنابر) للمحال، بعضهم طمعاً، والبعض الآخر منعا لاستغلاله من قبل الآخرين، وهناك محالّ ترى بضاعتها كلها تفرغها على الرصيف، وربما لو جئت في بداية العام الدراسي لشاهدت رصيفا لا يمكن السير في طرقه النيسميه إلا متعثراً بين البضائع والحمالين.

وحين سألته كيف ينظر إلى الحل الأنسب لهذا الوضع؟ قال: ان معظم المشتغلين في هذا السوق من حملة الشهادات، وتوفير فرص عمل تليق بهم وتناسب قدراتهم هو الحل الامثل لعلاج هذه القضية.

الشورجة أيضاً!

لم تعد الشورجة، كما هو معروف، سوقاً واحداً، بل اسواقاً، هذه الاسواق بما فيها السوق الرئيس عبارة عن أزقة قديمة ضيقة (عكود)، وبرغم ضيق هذه الازقة إلا انها امتلأت بـ (البسطات) و(الجنابر)، التي احتلت وسط الشارع فضلاً عن جوانبه، واسعار بيع وشراء اماكن هذه البسطات يصل إلى مئات الآلاف من الدنانير، وفي الشورجة بفروعها الضيقة، لا تضايقك (البسطات) فحسب، بل العتالون بخشونتهم وعرباتهم التي (تركض في شارع فارغ إلا منهم!) فكل شيء أمامهم مستباح. عربات حديد تسحب باليد وأخرى بثلاث عجلات والأخطر التي بعجلتين من عجلات السيارات، إذ تجمع بين القسوة وعدم المبالاة بالآخرين، وبهذ اغلق شارع الجمهورية بين (البسطات) والعتالين، احد اصحاب المحال اخرج معظم بضائعه إلى الشارع، حين سألته عن سبب استغلال الرصيف بهذه الطريقة، فهي تؤثر على الحركة، وبالتالي تؤثر على المبيعات، اجابني: اذا أنا لم افعل هذا الأمر، لوجدت العشرات من اصحاب (البسطات) يفترشون هذا الرصيف، اصحاب البسطات هم السبب وراء هذا الامر، فنحن لا نستطيع ان نمنعهم من افتراش الشارع.

اما ابو عمار، وهو صاحب بسطة، فقال: نحن نسعى وراء رزقنا، والشورجة كما تعلم هي السوق الاهم في بغداد لهذا نحن هنا نتقاتل في سبيل ان نعيش ونعيّش عوائلنا، اما اصحاب المحال فلا تعنيهم سوى مصالحهم الخاصة، كلهم تجار فهل يشعر التاجر بمعاناة الفقير؟

بناء أسواق جديدة

في ظل غياب الرصيف وتحت وطأة البطالة، وانعدام الحلول السريعة، حملنا هذه الهموم واتجهنا بها نحو امانة العاصمة، وفي المكتب الإعلامي حدثنا مصدر مسؤول عن توجهات الامانة بالقول: بتاريخ ٢٢/ ٨/ ٢٠٠ أوعز السيد أمين العاصمة إلى دوائر البلدية على العمل الجاد لازالة جميع التجاوزات، وسوف يتم هذا الامر بالتعاون بين ثلاث دوائر في البلدية لإزالة هذه التجاوزات فضلاً عن الامر بازالة الاسيجة التي وضعت من قبل بعض المتجاوزين، والتي سيجت لتكون ساحات لبيع السيارات، ومنع تحويل صنف المشاتل إلى معارض، وكذلك ازالة الابنية التي شيدت على الارصفة أو في الاماكن العامة. وبعض البلديات عملت على رفع هذه التجاوزات، وقد هدمت بلدية المنصور بيوتاً شيدت في اماكن تعود إلى الدولة. وهناك (اكشاك) غير شرعية في شارعي أبي نؤاس، وفلسطين، قد ازيلت فضلاً عن ازالة اللوحات الضوئية التي نصبت بصورة عشوائية في الشوارع والجزرات الوسطية. وسوف تخصص اماكن للاعلان. وكذلك وجهت انذارات لاصحاب المحال التي استغلت واجهاتها (بسطات) او (اكشاك)، وسوف يتم محاسبة اصحاب المحال ان لم يتم رفع هذه التجاوزات.

وانهى كلامه بالقول: ان الامانة تخطط لاقامة تسعة اسواق شعبية كبيرة في كل دائرة بلدية من دوائر بغداد التسع، كل سوق يحتوي على ما يقرب من ثلاث مئة محل كبير لاستيعاب اصحاب البسطات، وقد باشرت الامانة العمل ببعضها.

اما ما يجري الآن من حملات تشجير وتنظيف، فقال، حين سألناه عنها، إنها تقام باموال من الشركات والدول المانحة وليس من ميزانية الامانة وعلاقة الامانة بهذه الاعمال علاقة اشراف وتوجيه فقط.

تركنا مبنى الامانة وكلنا أمل ان نرى شوارع بغداد نظيفة فعلاً، وشبابها يعملون بما يناسب طاقاتهم، وليس تخلصاً او هروباً من البطالة.

بين السبخ ومتاعب الحياة

الأيدي العاملة الرخيصة في مستعمرات الملح الملوث

بابل/مكتب المدى/محمد هادي
تصوير/ قاسم عبد الرضا

احياء عشوائية انشئت بمحاذاة بحيرات الملح بنيت من الطين والقصب وسعف النخيل يسكنها مجموعة صغيرة ممن امتهنوا استخراج الملح مستخدمين قوافل من الحمير، تذهب كل يوم إلى مناطق تجمع الاملاح في اطراف مدينة الحلة من جهاتها الاربع وتعود محملة بأكياس الملح التي توزع بين الاسواق لتباع على المستهلكين.

وتنتشر الممالح ـ كما يسمونها ـ في المناطق السبخة التي يحول الماء إليها.

وملح الطعام المستخرج من تجفيف المستنقعات والاراضي الرطبة التي تعاني زيادة نسبة الاملاح ومنها كلوريد الصوديوم، يستخدم بكثرة ملحوظة في العديد من الصناعات الغذائية، والطبخ اليومي وفي صناعة الخبز وذلك لرخص سعره، وسهولة استخلاصه، علماً بأنه مادة ضارة جدا حتى وان كان نقياً لأنه ملوث في أغلب الاحيان.

وفي سؤال عن مواصفات ملح الطعام اجابنا الدكتور حسن علان خبير منظمة الصحة العالمية أن ملح الطعام مادة تبلغ حاجة الجسم إليها خمسة غرامات فقط وان أية زيادة قد تؤدي إلى الاصابة بالعديد من الامراض اهمها (ارتفاع ضغط الدم) خاصة عند الاشخاص الذين لديهم التحسس من الاملاح، اذ تسبب لديهم ارتفاع ضغط الدم الشرياني بشكل سريع. ولا يخفى على الجميع مالآثار الضغط من دمار على صحة الانسان. ومن تهديد دائم بل ونهاية حياته ما لم تتم السيطرة عليه.

اليود وملح الطعام

ان ملح الطعام غير النقي والذي يجمع بطرق بدائية وغير صحيحة، يحتوي على ملوثات خطرة منها وجود معادن كالرصاص والكادميوم والمنغنيز، اضافة إلى تعرض العديد من مناطق جمع الملح إلى مواد مشعة، وملوثات عضوية أخرى تتسبب في العديد من الامراض.

كيفية استخراج الملح

ان ملح الطعام المستخرج بطريقة بدائية وغير صحية عادة ما يكون ممزوجاً بالاتربة والاعشاب وافرازات الحيوانات، اضافة إلى كونه خالياً من مادة اليود الرئيسة، التي تعد من المواد المفيدة والضرورية لجسم الانسان وهي تضاف بنسبة ١ـ٢٥٠٠ جزء. ويجب ان تضاف المادة بطريقة مدروسة ومتجانسة في المادة المعدة للطعام.

وفي دراسة اجريت على محتويات اكياس الملح التي تباع في الاسواق ومثبت عليها علامة (ملح باليود) ظهر أن ٩٠٪ من هذه المواد خالية من مادة اليود، وان بعض الاكياس تحتوي على كمية اكثر من المقرر وهذه كمية مؤذية طبعاً ويجب ان تكون هناك رقابة وخاصة من جهاز التقييس والسيطرة النوعية والرقابة الصحية الصارمة لان بعض الشركات تستسهل استخدام الملح المستخرج بالطريقة البدائية لتحقيق الربح المادي السريع على حساب صحة المواطن وهذا قمة الغش الصناعي.

وفي جولة في السوق لمعرفة استخدامات الملح تبين ان له العديد من الاستخدامات غير استخدامه للطعام تتمثل في استخدام كميات الملح لوضعها تحت ارضية افران الصمون لغرض الحفاظ على درجة حرارة الغرف لمدة طويلة.

وكذلك يستخدم الملح لاغراض الدباغة حيث تدبغ الجلود وتعد باضافة كميات كبيرة من الاملاح لهذه الجولد المدبوغة، والاستخدام الثالث هو في صناعة الطرشي اذ يقوم اصحاب معامل الطرشي بوضع كميات كبيرة من الاملاح في احواض اعداد الطرشي الكبيرة ووضع المواد داخل الاطراف ومن ثم اخراجها واستبدال الماء.

هذه غير الاستخدامات الصناعية الاخرى التي نتمنى ان تخضع للرقابة الصارمة بحيث لا تؤثر على حياة المواطن.